

12

الأنبياء

الجزء الخامس

البشارة بإسحاق



بقلم: أ. عينا الحميد عبد المقصود

رسوم: أ. عبد الشافي سيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى





كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ
الْأَرْضِ .. وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ ،
فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَضَافَ الضَّيْفَ ..

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْثَرَ النَّاسِ حُبًّا لِلضَّيْفِ ، وَإِكْرَامًا لَهُ ..
وَكَانَ يَذْبَحُ لِلضَّيْفِ أَشْمَنَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَاشِيَةِ ،
أَوِ الْغَنَمِ ، وَيَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ الضَّيْفِ بِنَفْسِهِ ..
وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا أَمَامَ بَابِ بَيْتِهِ ، فَرَأَى
ثَلَاثَةً مِنَ الرِّجَالِ فِي غَايَةِ الْوَسَامَةِ وَالْجَمَالِ ،

عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بَيَاضٌ فِي غَايَةِ الْأَنَاقَةِ ، يَدْخُلُونَ

الْقَرْيَةَ ؛ وَيَتَّجِهُونَ إِلَيْهِ .. ثُمَّ يُلْقُونَ إِلَيْهِ بِالسَّلَامِ ..

رَدَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمُ التَّحِيَّةَ ، وَنَظَرَ فِي وُجُوهِهِمْ ، فَلَمْ
يَتَعَرَّفَهُمْ .. فَعَرَفَ أَنَّهُمْ غُرَبَاءُ عَنِ الْقَرْيَةِ ..

وَلَمَّا كَانَ مِنْ عَادَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِكْرَامُ الضَّيْفِ فَقَدْ
نَهَضَ مُرَحِّبًا بِهِمْ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى بَيْتِهِ ، ثُمَّ أَدْخَلَهُمْ
وَأَجْلَسَهُمْ فِي مَكَانٍ اسْتِقْبَالَ الضُّيُوفِ ..

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ مِنْهُمْ وَتَوَجَّهَ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ ، حَيْثُ
تُوجَدُ زَوْجَتُهُ السَّيِّدَةُ سَارَةُ ، وَكَانَتْ سَارَةُ قَدْ صَارَتْ
عَجُوزًا وَابْيَضَّ شَعْرُهَا ، فَقَالَ لَهَا :

إِنَّ لَدَيْهِمْ ضُيُوفًا غُرَبَاءَ ، وَرَبَّمَا قَدِمُوا مِنْ سَفَرٍ بَعِيدٍ ..

فَهَمَّتِ السَّيِّدَةُ سَارَةُ أَنَّهُ يَجِبُ إِعْدَادُ طَعَامٍ لِلضُّيُوفِ ،
فَقَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ :

— اذْهَبْ أَنْتَ لِتُجَالِسَ ضُيُوفَكَ ، وَسَاعِدْهُ أَنَا وَالْخَدَمُ

لَكُمْ الطَّعَامَ ..

لَكِنْ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ قَالَ لَهَا : إِنَّهُ سَوْفَ يُعِدُّ لَهُمْ

الطَّعَامَ بِنَفْسِهِ ، زِيَادَةً فِي إِكْرَامِهِمْ ، وَالْحَفَاوَةَ بِهِمْ ..

فهذه عَادَتُهُ دَائِمًا مَعَ الضُّيُوفِ ..

شَمَّرَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام عَنْ سَاعِدَيْهِ ، وَتُمَسَّعَدَةً
زَوْجَتَهُ سَارَةَ وَبَعْضَ الْخَدَمِ ، أَمْسَكَ عِجْلًا سَمِينًا مِنْ
أَفْضَلِ الْعُجُولِ لَدَيْهِ ، فَذَبَحَهُ ، ذَاكِرًا عَلَيْهِ اسْمَ اللَّهِ ..
ثُمَّ سَلَخَهُ ، وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْأَحْشَاءَ ، وَبَعْدَ أَنْ نَظَّفَهُ جَيِّدًا ،
أَوْقَدَ نَارًا هَائِلَةً وَشَوَّاهُ عَلَيْهَا .. ثُمَّ حَمَلَ الطَّعَامَ ، وَوَضَعَهُ
أَمَامَ ضُيُوفِهِ ، وَبَدَأَ يَأْكُلُ ذَاكِرًا اسْمَ اللَّهِ ، وَدَاعِيًا
الضُّيُوفَ لِلْأَكْلِ ..

لَكِنْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لَاحِظٌ أَنَّ الضُّيُوفَ لَا يَمْدُدُونَ أَيْدِيَهُمْ
إِلَى الْأَكْلِ لِیَأْكُلُوا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ ، مُتَوَجِّسًا مِنْهُمْ
خِيفَةً .. فَمَعْنَى امْتِنَاعِ الضُّيُوفِ عَنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ أَنَّهُمْ رُبَّمَا
كَانُوا غَاضِبِينَ مِنْهُ ، أَوْ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِقَصْدٍ بِهِ شَرًّا ..
وَلَكِنْ أَيْ ذَنْبٍ جَنَّاهُ إِبْرَاهِيمُ ، حَتَّى يَقْصِدَ بِهِ هَؤُلَاءِ
الْفُرْيَاءَ شَرًّا ؟ هَكَذَا تَسَاءَلَ إِبْرَاهِيمُ فِي نَفْسِهِ ..

وَبَدَأَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَسْتَرْجِعُ فِي خَيَالِهِ لَحْظَةً



قُدُومُ الْغُرَبَاءِ عَلَيْهِ .. فَتَذَكَّرَ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا أَمَامَهُ فَجَاءَهُ ،
وَأَنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ سَفَرٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَيُّ أَثَرٍ مِنْ غُبَارِ
السَّفَرِ ، أَوْ الْإِجْهَادِ .. كَمَا لَاحَظَ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ
الْأَدَوَاتُ تَحْمِلُهُمْ ، أَوْ أَيُّ أَدَوَاتٍ مِنَ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْمُسَافِرُ ،
وَالَّتِي لَا غِنَى لَهَا عَنْهَا فِي سَفَرِهِ ..

وهكذا تعجب إبراهيم في نفسه .. ثم سألهم
قائلاً :

– لقد دعوتكم إلى الطعام ، فلماذا لا تأكلون ؟
فرد الرجال قائلين :

– نحن ملائكة يا إبراهيم ، والملائكة لا تأكل ..
لَمْ نَأْتِ لِنَقْصِدْكَ بِشَيْءٍ ، لكن الله – تعالى – أرسلنا
إلى قوم لوط ..

وكانت السيدة سارة تقف قريباً منهم فضحكت ..
فالتفت إليها أحد الملائكة ، وقال لها :
« إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِإِسْحَاقَ »

أَيُّ أَنَّ اللَّهَ – تعالى – يُبَشِّرُهَا بِأَنَّهَا سَوْفَ تَضَعُ
غُلاماً ، وَسَوْفَ يَكُونُ اسْمُهُ « إِسْحَاقَ » .
فتعجبت السيدة سارة وقالت :

– كيف ألدُّ وأنا عاقر لا أنجب ، وقد صِرْتُ عَجُوزاً ..
وهذا زوجي أيضاً قد صار شيخاً كبيراً ؟
فأجابها أحد الملائكة قائلاً :

«وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ» ..

أَيُّ أَنْكَ سَوْفَ تَعِيشِينَ حَتَّى تَشْهَدِي وَلَادَةَ ابْنِ
لِإِسْحَاقَ ، وَسَوْفَ يَكُونُ اسْمُهُ «يَعْقُوبُ» ..

فَرِحَتِ السَّيِّدَةُ سَارَةُ بِهَذِهِ الْبُشْرَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَزَاوِيلُ
إِبْرَاهِيمَ الْخَوْفُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لَكِنَّهُ تَسَاءَلَ قَائِلًا :

«أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسْنَى الْكِبَرِ ، فِيمَ تُبَشِّرُونِ ؟» .

فَأَكَّدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهُمْ بِشُرُوءِهِ بِالْحَقِّ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ
أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْقَانِطِينَ الْيَائِسِينَ ..

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي ثِقَةِ الْوَائِقِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ :

«وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ» .

أَفْهَمَهُمْ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ لَيْسَ يَائِسًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ..

وَهُنَا تَعَجَّبَتِ السَّيِّدَةُ سَارَةُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هَذِهِ
الْبُشْرَى بِالْإِنْجَابِ وَهِيَ عَجُوزٌ ..

فَرَدَّتْ عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ قَائِلِينَ :

«أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ

أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» .

مَلَأَتْ الْفَرْحَةَ قَلْبَ السَّيِّدَةِ سَارَّةَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهَا
بِدُمُوعِ الشُّكْرِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَحْسَتْ إِحْسَاسَ
الْأُمِّ الَّتِي حَرَمَتْ مِنَ الْوَلَدِ طَوَالَ حَيَاتِهَا ؛ وَهِيَ ذِي
عَلَى وَشَكٍّ أَنْ يَكُونَ لَهَا وَلَدٌ ، وَسَوْفَ تَشْهَدُ أَيْضًا
مَوْلَدَ حَفِيدِهَا ..

أَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فَقَدْ أَحَسَّ أَنَّ هَذِهِ الْبُشْرَى
هِيَ تَكْرِيمٌ لَهُ وَلِزَوْجَتِهِ ، وَإِنْعَامٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِمَا
فِي شَيْخُوخَتِهِمَا ، وَلِذَلِكَ خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا ..
وَعِنْدَمَا سَكَنَ قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَاطْمَأَنَّ ، نَظَرَ إِلَى
الْمَلَائِكَةِ ، فَتَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَرْسَلَهُمْ لِقَوْمِ
لُوطَ ..

وَلُوطٌ هُوَ ابْنُ أَخٍ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ،
وَقَدْ اخْتَارَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - نَبِيًّا لِقَوْمٍ يُدْعَوْنَ «قَوْمَ سَدُومَ»
بَوَادِي الْأَرْدُنِّ ..

وَكَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ يَعْلَمُ أَنَّ قَوْمَ لُوطٍ قَوْمٌ مُعَانِدُونَ
جَاحِدُونَ ، وَقَدْ آذَوْا نَبِيِّهِمْ «لُوطًا» وَعَذَّبُوهُ ،

وَلَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَىٰ نُصْحِهِ .. وَإِرْسَالُ الْمَلَائِكَةِ إِلَىٰ
قَوْمِ لُوطٍ مَّعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَرَادَ بِهِمْ شَرًّا ؛
وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ جَاءُوا لِيُوقِعُوا بِهِمُ الْعَذَابَ ..



وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحِيمًا بِالْخَلْقِ ،
حَتَّى الْكَافِرِينَ مِنْهُمْ ، فَهُوَ لَا يُطِيقُ هَلَاكَهُمْ ، وَلَا يُطِيقُ أَنْ
يَرَى الْعَذَابَ وَاقِعًا بِهِمْ ..

وَلِذَلِكَ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُجَادِلُ الْمَلَائِكَةَ بِخُصُوصِ
قَوْمِ لُوطٍ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ رُبَّمَا رَجَعُوا عَنْ
فُجُورِهِمْ وَضَلَّالِهِمْ ..

وَأَفْهَمَهُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ، وَأَنَّ أَمْرَ
اللَّهِ - تَعَالَى - قَدْ صَدَرَ بِهِلَاكِهِمْ جَزَاءَ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنْ
الْمَعَاصِي فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَفِي حَقِّ نَبِيِّهِمْ ، وَفِي حَقِّ
النَّاسِ وَفِي حَقِّ أَنْفُسِهِمْ ..

وَإِذَا صَدَرَ أَمْرُ اللَّهِ ، فَلَا رَادَّ لَهُ .. لَقَدْ جَاءُوا
لِيُرْسِلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ حِجَارَةً مُسَوَّمَةً
تُهْلِكُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ..

حَزَنَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَجْلِ الْمَصِيرِ الثَّعَسِ ،
الَّذِي يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الثَّعَسَاءَ ، وَحَزَنَ أَكْثَرَ مِنْ أَجْلِ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ ، فَسَأَلَ الْمَلَائِكَةَ قَائِلًا :

— هل ستهلكون قريةً ، وفيها لوطٌ وعددٌ من المؤمنين ؟
فأجابهُ الملائكةُ قائِلينَ :
— نحنُ أعلمُ بمن فيها . . لقد قُضِيَ الأَمْرُ ، واقتُضتْ
مُشيئةُ الله - تعالى - إنفادهُ ، وإهلاكُ قومِ لوطٍ . .



ومضى الملائكة لتففيذ أمر الله - تعالى - في

قوم لوط ..

(وهذا الأمر سوف نتعرض له تفصيلاً في قصة

النبي لوط عليه السلام)

وقد تحققت بشري الملائكة لإبراهيم وروجته سارة ،

فوضعت على كبر ابنها إسحاق ، ويقال : إن عمرها

عندما وضعت إسحاق كان تسعين عاماً ، وأن عمر

إبراهيم عليه السلام كان مائة وعشرين عاماً ..

ويقال : إن سارة لما وضعت ابنها أسمته «يضحق»

وترجمتها «يضحك» وهي تريد أن كل من سمع بولادة

هذا الولد من أبويه في هذه السن يضحك ، لما في

ذلك من الغرابة ..

وقد صار إسحاق عليه السلام فيما بعد نبياً ..

يقول الله تعالى :

﴿ ... وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ .

كما تحققت بشارة الملائكة لسارة وإبراهيم

يَعْقُوبَ ، فَقَدْ تَزَوَّجَ إِسْحَاقُ ، وَأَنْجَبَ يَعْقُوبُ . .
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ ... وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا *
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ، وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ
عَلِيًّا ﴾



وقد عاش نبيُّ الله إبراهيمُ عليه السلام بعد ولادة
إسحاق عليه السلام يضربُ في الأرضِ ، داعيًا النَّاسَ
إلى عبادةِ الله الواحدِ القهارِ ، وناشِرًا دعوةَ الله في
الأرضِ ..

حتى جاءه أمرُ الله - تعالى - ببناءِ بيته الحرامِ ..
الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ..
وقد حكى الله - تعالى - تبشيرَ الملائكةِ بإسحاقَ
في هذه الآيات :

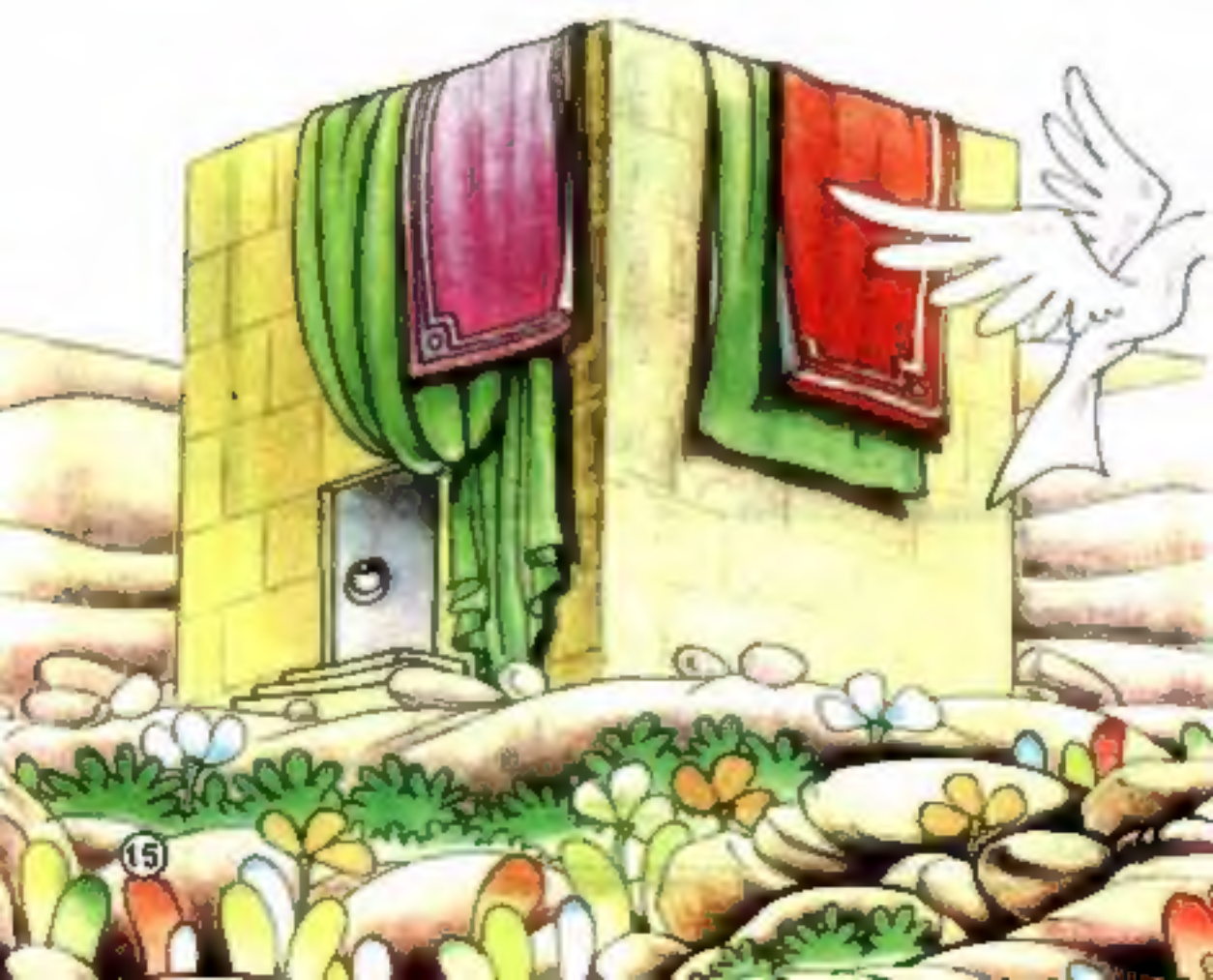
﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ
سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ
إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَأَمْرُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ
يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ

رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ
مَجِيدٌ ﴿١٥﴾

(الآيات من ٦٩ : ٧٣ من سورة هود)

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢١٦٢
الترقيم الدولي : ٢١ - ١٤٩ - ٢٦٩ - ٢٧٧



قصص الأنبياء



الكتاب التالي

إبراهيم عليه السلام (٦)

(بناء الكعبة المشرفة)

أحرص على اقتنائه